# المبحث الثالث

## السياق الحضاري

شهدت المرحلة التي عاصرها فانون وبالتحديد فترة مابين الحربين العالميتين وما بعد انتهاء الحرب الثانية عددا من التيارات السياسية والفكرية الهامة والتي كانت انعكاسًا وتعبيرا عن تلك الأحداث التي حدثت فيها وتشكل في مجملها ملامح لحضارة العصر ساهمت في تشكيل وجدان وفكر مثقفيه.

وينقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب:

**يتم في الأول** دراسة التيارات والظواهر الفكرية والثقافية.

**ويتناول الثاني** التيارات السياسية الدولية.

**أما المطلب الثالث** فيتم تخصيصه للتيارات السياسية على المستوى الإقليمي.

### أولا : التيارات الفكرية والثقافية

ينصرف الحديث عن التيارات الفكرية والثقافية لهذه المرحلة إلى الحديث عن تيارات فكرية نشأت في الغرب وفي الدول الأوروبية تحديدا،وهذا ما يفرضه الظرف الموضوعي، ذلك أن الدول الاستعمارية وهي دول أوروبية بالأساس، قامت بغزو واحتلال معظم أرجاء العالم في القارات الأربع الأخرى والسيطرة عليه، وأبادت السكان الأصليين في قارتي أمريكا و أستراليا.

واقتلعت من الجذور ثقافة وحضارات هذه البلدان، فلم يعد ممكنا الحديث عن أي ثقافة أو فكر أو حضارة للسكان الأصليين، اللهم إلا إذا كان فكر وثقافة وحضارة السكان المهاجرين وهم أوروبيون بالأساس، ذلك فضلا عن أن الموجات الأولى للهجرة كانت من المغامرين ومن فئات ونوعيات لا تجد الثقافة ولا الفكر إليها طريقا.

وفيما يخص قارتي آسيا وأفريقيا ،فقد استعمرت معظمها أو كلها بالكامل، و قد اتبعت الدول الاستعمارية عدداً من السياسات لتعزيز وجودها و سيطرتها والعمل على تجميد ثقافة البلدان المستعمرة حتى لا تتيح لها إمكانيات النمو والتطور ويلمس فانون هذا الواقع ويعبر عنه بقوله "...إن السيطرة الاستعمارية التي تتصف بأنها شاملة كلية لم تلبث بأن هدمت الوجود الثقافي للشعب المستعمر .....هذه الأمور كلها التي عمد إليها الاستعمار قد أتاحت ذلك الإمحاء الثقافي شيئا بعد شيء"(١) ويؤكد " أن الثقافة الوطنية هي في ظل السيطرة الاستعمارية ثقافة مجمدة تابع الاستعمار تحطيمها متابعة منظمة "(٢).

إذن والأمر كذلك لم يتبق من ظاهرات أو تيارات فكرية يمكن الحديث عنها أو رصدها إلا تلك التي نشأت وتكونت ووجدت حاضنتها في البيئة الأوروبية.

وإذا نظرنا إلى الثقافة باعتبارها انعكاسا وتعبيراً عن أسلوب وطريقة حياة أي شعب وعن مفاهيمه وقيمه ورؤيته للعالم من حوله، وإذا أدركنا أن الشعب (أي شعب) ليس كلا واحدا متجانسا، وإنما هناك تمايزات عديدة يقف على رأسها ما يفرزه الواقع الاقتصادي من تمايز طبقي وما يترتب عليه من اختلاف المصالح وتضاربها، فإن الثقافة تبعا لذلك هي ذات أنماط متعددة (والثقافة هنا بمعنى الأفكار والنظريات) فنجد ثقافة تكرس الأمر الواقع وأخرى تعمل على تغييره وتستشرف أفق المستقبل، بمعنى آخر فهناك الثقافة الرجعية والثقافة التقدمية على مستوى واقع وحياة أي مجتمع، وهذا التمايز ينسحب بدوره على مجتمع الدول، حيث هناك دول مستعْمَرة وأخرى مستعْمِرة، دول مستغلة وأخرى مستغَلة، فنجد أن الدول الاستعمارية تعمل بدورها على خلق ثقافة تعمل على تكريس الفكرة الاستعمارية في عقل ووجدان الشعوب المستعمرة، وهناك بالتوازي وفي ذات الوقت ثقافات أخرى هي ضد الظاهرة الاستعمارية وتعمل على الخلاص منه، وفي هذا الإطار ترصَّد الكتاب ثلاثة تيارات فكرية أساسية، ميزت المرحلة التي تعنى بها.

أحد هذه التيارات برر الاستعمار وعمل على تكريسه وهي الأفكار العنصرية، والآخر كان انعكاسا لحالة الاضطراب والفوضى التي عمت أوروبا

(١) فانون، معذبو الأرض، م س ذ، ص ٢٢٤.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٢٥..

وعاشتها فيما بين الحربين بما فيها الأزمة الاقتصادية في ١٩٢٩، والتيار الفكري الثالث عمل على تحليل الواقع الاقتصادي الاجتماعي القائم والكشف عن تناقضاته ومن ثم العمل على تغييره وهو تيار الأفكار الاشتراكية والماركسية.

## ١- الفكر العنصري :

الفكر العنصري في جوهره، فكر متخلف رجعي و يحاول أن يرتكز على دعائم من ادعاءات علمية، ويستند على الإيمان بتمايزات واضحة بين الأجناس و حيث توجد أجناس أرقى من أجناس أخرى ويرجع هذا الاختلاف إلى اختلافات بيولوجية في الأساس ويرتب على ذلك تفرقة في الحقوق والمزايا الممنوحة للأجناس المختلفة[١].

وأول من أعطى العنصرية صورتها المنظمة هو أرثر غوبينو Arthur gobineau "وقد قسم الأجناس إلى ثلاثة ،الأصفر ويتسم بالمادية وافتقاد القدرات الإبداعية، والأسود الذي يفتقد الذكاء، والأبيض الذي يتسم بالنبل والشرف وحب الحرية وأفضل أجناسه الجنس الآري"[٢]، ومن المتصور أن هذا الاعتقاد يشكل حجر الزاوية الذي يرتكز إليه الفكر النازي في اعتقاده العنصري بسمو الجنس الآري وتفوقه على الأجناس الأخرى، ومن بين المفكرين الذين أسهموا في نشر المفاهيم العنصرية الإنجليزيان كونكس Robert Knox وجيمس هانت James hunt " اللذان آمنا أن السمات العنصرية طبيعية وأنها غير قابلة للتغيير وأنها غير مقصورة على السمات الجسدية وأنها تمتد إلى الخصائص العقلية والأخلاقية أيضا"[٣].

والكتاب في نطاقها ليست معنية بتفنيد الأسس التي يقوم عليها الفكر العنصري ولكنها عنيت بتوضيح بعض الأسس النظرية التي ترتكز عليها.

ويكون من السهل الاستنتاج بأن فكرة تقوم بالتمييز بين البشر على أساس من اختلاف الجنس أو اللون أو العرق وتقوم على عدم تساوى الأجناس البشرية،

(١) محمد محمود ربيع ، اسماعيل صبرى مقلد ، م س ذ ، ص٢٩٩.
(٢) نفسه
(٣) المرجع السابق، ص ٣٠٠.

هي فكرة تعمل على تبرير الاستعمار وتعطيه مشروعيته. ويقدم بها تفسيرا لاستغلاله الشعوب الأخرى الأدنى سواء بسبب اختلاف اللون أو العرق، والفكرة العنصرية هي التي ارتكز عليها هتلر بأفكاره عن نقاء الجنس الآري وعن سموه وتفوقه على سائر الأجناس الأخرى وما أدى إليه ذلك من دمار لحق بالعالم في حربه الثانية.

وإعمالاً لهذه الفكرة العنصرية وتوظيفها في تثبيت السيطرة الاستعمارية وإدامة استغلال المستعمرات، فقد سعى المستعمرون إلى تدمير التراث الثقافي للأهالي بدعوى التفوق العرقي للحضارة المنتصرة وإلى تشريب الشعوب المستعمرة فكرة انهم من جنس أدنى وبالتالي دفعهم إلى الإحساس بالدونية،مما يسّهل تشكيل الأهالي وفق هذه التراتبية العنصرية وإلحاقهم بالآلة الأوروبية[1]

ولم يسلم فانون وهو صاحب البشرة السوداء من لعنة التمييز العنصري " فقد كانت تتملكه طيلة حياته مرارة التمييز العنصري"[2] ،فهو في " نظر الفرنسي زنجي قبل أي شيء آخر، ومن ثم فهو في مرتبة متدنية "[3]

ويظل من المحتم عليه أن" يواجه عالماً أبيَض لا يقيم لشهادته العلمية الطبية ما يقيمه للون بشرته الأسود"[4] ، وفي كتابه بشرة سوداء وأقنعة بيضاء يقول فانون بمرارة: "عندما أتحدث إلى من يحبونني يقولون :أنهم يحبونني على الرغم من لوني وحينما أتحدث إلى من يكرهونني يعتذرون بأنهم لا يكرهونني بسبب لوني . وفي كلتا الحالتين أجدني حبيس الحلقة اللعينة إياها "[5].

كتب فانون مؤلفه الأول "بشرة سوداء وأقنعة بيضاء "مبكرا في عام ١٩٥٢ وهدف من هذا الكتاب أن يكون مرآة تقود الزنوج إلى طريق الاغتراب، ولفانون اقتراب في "تحليل آليات التمييز العنصري ووظيفتها الأيديولوجية في عملية الاستغلال الاستعماري " وترى زهار أن اقتراب فانون هذا مشابه لاقتراب سارتر.

مجمل القول أن الفكر العنصري قد ترك بصماته القوية على الحياة في أوروبا.

(1) "The Rehabilitation of Violence and the Violence of Rehabilitation: Fanon and Messay Kebed Colonialism", **Journal of Black Studies**, London: Sage Publication, Vol. 31, No. 5 ,May, 2001, pp. 539-562. http://www.jstor.org/stable/2668075
(2) David Caute, **op.cit.**, P.9.
(3) Idem.
(4) Ibid., P.27.
(5) Fanon, Frantz , Charles Lammarkman (Translator), **op. cit.**,p.116.

كنتيجة لصعود النازية المرتكزة على أساسيات هذا الفكر وبما أحدثته من دمار بحربها للدول والشعوب الأوروبية الأخرى، وأن هذا الفكر العنصري كان أساسا استند إليه الرجل الأبيض في استغلاله واسترقاقه للأفارقة السود، واستند إليه الاستعمار فيما بعد لتبرير الغزو ثم الاحتلال ونهب الثروات لشعوب هذه المنطقة.

وعلى هذا فإن الأفكار العنصرية بما كان لها من انتشار وتواجد في أوروبا وفي أنحاء مختلفة من العالم حيث كانت التفرقة تمارس في دول الشتات إلى جانب وجود نظام استعماري استيطاني عنصري في جنوب القارة.

فذلك مما يجعلها في عداد التيارات الفكرية الرئيسية في هذه المرحلة والتي كان لها بالقطع انعكاساتها على فانون وعلى تكوينه وأفكاره، على نحو ما سيرد في موضع آخر من هذه الكتاب.

## ٢- التيارات الفلسفية الأوروبية

من المعروف أن الفلسفة الحديثة بكافة مدارسها ،هي فلسفات نشأت أساسا في أوروبا ،ذلك أن أوروبا في فترة مابين الحربين وما بعدها كانت تموج بكم هائل من الأفكار وعديد من الفلسفات،يقف من بينها تياران رئيسان هما تيار الفكر الوجودي والتيار الاشتراكي اللذان كان لهما من الذيوع والانتشار ما يجعلهما يشغلان حيزا كبيرا من الواقع الحضاري لهذه الحقبة ويشكلانه في ذات الوقت ،واستعراض هذين التيارين لا يهدف إلى الدخول في تفاصيلهما الفلسفية فذلك شأن أخر،وإنما إلى تلمس تأثيرهما على الواقع الثقافي والحضاري وذلك في خطوطه العريضة.

### الفلسفة الوجودية[1]

ذاعت الفلسفة الوجودية _غداة الحرب العالمية الثانية – وأصبحت محور اهتمام جيل كامل من المثقفين في فرنسا وأوروبا وإذا عرفنا إن مفكرين من طراز سارتر وألبير كامو وأندريه جيد وآخرين هم من المنتمين لهذا الفكر وقادته على الأقل

(1) www.Editor@ArabRenewal.Com
ww.Ksakef.Com

في مرحلة من حياتهم،لأدركنا مدى انتشاره الذي يعزى في جانب منه إلى استعماله للخطاب الأدبي ،فكل المفكرين السابق ذكرهم لهم إبداعاتهم الأدبية والتي كانت سببا قويا في انتشار مفاهيمه وذيوعها .

ودون دخول في تفاصيل عميقة حول هذا الفكر فإنه في خطوطه العريضة المتفق عليها ،يعلى من قيمة الإنسان ويؤكد على تفرده وأنه صاحب تفكير وحرية واختيار، والوجوديون يؤمنون إيمانا مطلقا بالوجود الإنساني ويتخذونه منطلقا لكل فكرة و ويؤمنون بحرية الإنسان المطلقة وأن له إن يثبت وجوده كما يشاء وبأي وجه يريد دون أن يقيده شيء ،فالحرية ضرورة لكي يحقق الإنسان وجوده، وفي هذا الصدد فمن المقولات الشهيرة لسارتر " نحن محكومون بالحرية " فهو يرى أن الإنسان حر وأن له الحق في أن يكون ( هو..هو) ، ومحور الفكر الفلسفي الوجودي هو التأكيد على أن الإنسان كائن حر، وأن الإنسان لا يتحدد مسبقا بفعل عوامل وراثية أو إرادة ما وراثية ،بل هو يوجد ومن خلال وجوده تتحقق ماهيته وهذه الماهية هي مشروع دائم التشكل خلال حياة الإنسان الفرد وبإرادته، ومن المهم في هذا الفكر أنه على ما فيه من تأكيد على حرية الإنسان فإنه في ذات الوقت يؤكد على ضرورة الالتزام الذاتي وعلى المسؤولية الأخلاقية.

وبعد استعراض الخطوط الأساسية لهذا الفكر، نجد أن أهميته تبدو في أنه بتقريره لمبدأ حرية الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله، فهو يقف على النقيض من الأفكار العنصرية التي ارتكز عليها الفكر الاستعماري في تبريره لمشروعية الاستعمار، فهي فلسفة أيا كان الموقف منها فإنها تدعو إلى الحرية والتحرر في آن واحد.

وفي مرحلة من حياته تأثر فانون بأفكار الفلسفة الوجودية[1].

(١) لأثر الفكر الوجودي وسارتر على فانون انظر

Adaner Usmani,**Reimagining the Revolutionary Vanguard: Frantz Fanon and the Task of the Intellectual** ,( Harvard College Press,N.D)
http://www.hcs.harvard.edu/thesis/repo/42/1/full_thesis_revised.pd

## الفكر الاشتراكي

تمثل الاشتراكية عند كثير من المفكرين- بصرف النظر عن التفاصيل- مجموعة متكاملة من الأفكار والمناهج والوسائل السياسية والاجتماعية التي تشترك في رفض المجتمع الاستغلالي وتؤمن بحتمية تقدم المجتمعات ،وتقوم الاشتراكية على مبدأ إلغاء استغلال الإنسان للإنسان وعلى التطور المخطط للمجتمع من أجل تحسين الوضع المعيشي للشعوب.

وردا على المظالم والتفاوت الطبقي الذي ولده نشوء الرأسمالية في أوروبا، طرح عدد من المفكرين الأوروبيين مبادئ تهدف إلى نبذ الرأسمالية وإقامة الاشتراكية الديمقراطية التي تدافع عن تحول المجتمع سلمياً من الرأسمالية إلى الاشتراكية، تواجدت هذه الأفكار إلى جانب الأفكار الاشتراكية الماركسية التي ترى أن الطبقة الرأسمالية المسيطرة لن تتنازل طواعية عن امتيازاتها ، وبالتالي فإن إقصاء هذه الطبقة وتصفية استغلالها لا يتم عبر الوسائل السلمية .

ويرى الفكر الاشتراكي تلازما بين النظام الرأسمالي واغتراب الإنسان واستلابه وذلك بفصله قوى الإنتاج (العمال )عن أدوات إنتاجهم واعتبار أن قوة العمل سلعة وتشجيع النمط الاستهلاكي وبالتالي فإن القضاء على هذا الاغتراب يفترض بالضرورة العمل على القضاء على النظام الرأسمالي وإقامة النظام الاشتراكي محله.

وعلى صعيد آخر فإن الفكر الاشتراكي يربط مابين الاستعمار ونشوء الرأسمالية في أوروبا، وأن التوسع الاستعماري كان شرطا لازما لنمو الرأسمالية من جانب وكان مساعدا على طمس التناقضات والصراعات الطبقية من جانب آخر نتيجة لزيادة القدرة التوزيعية لهذا النظام بنهبه لثروات البلاد المستعمرة.

وعلى هذا يكون الفكر الاشتراكي في عداء مع كل من الاستعمار من جانب والرأسمالية من جانب آخر، وإذا كانت أوروبا في النصف الأول من القرن العشرين تموج بهذه الأفكار وكانت فرنسا على وجه الخصوص مسرحا لها ،فلم يكن فانون بعيدا عن التأثر بهذه التيارات الفكرية، فهو وكما سبق الذكر، عاش في فرنسا ودرس فيها واحتك بمثقفيها على اختلاف مدارسهم وتفاعل معهم وتأثر بهم، "ففي عام

١٩٤٧ تأسست في باريس مجلة (الأزمنة الحديثة) وكان يتولاها بالرعاية عدد من المثقفين الفرنسيين اليساريين بينهم أندريه جيد و ألبير كامو وسارتر، وكان لهذه المجلة أثر عميق في فانون فقد اقتبس منها الشيء الكثير في كتابه (بشرة سوداء وأقنعة بيضاء)، وإليها كان يعزو قدرته على تنسيق البواعث السيكولوجية التي تهيمن على تصرفات الملونين"[١]، ويذكر كوت أيضا أن فانون "تعرض لأفكار هيجل وماركس ...وسارتر وميرلو بونتي .. وقد ظفرت دراسات هؤلاء باهتمامه البالغ...(.ويؤكد ..أن تطور أفكار فانون يوازى من بعض الوجوه تطور أفكار ماركس، ولكنه –خط تطور أفكار فانون–أشد التصاقا بخط تطور أفكار سارتر"[٢].

مجمل القول أن فانون كان متأثرا بل ومتفاعلا مع كافة التيارات الفكرية التي كانت تملأ الفضاء الأوروبي في فترة ما بعد الحرب الثانية ولم يكن بعيدا عنها وبالتالي فإنه لم يكن خارج سياقها الحضاري.

## ثانيا: التيارات السياسية الدولية:

سدت العالم في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية عدد من التيارات السياسية وكانت هذه التيارات انعكاسا للتغير في موازين القوى العالمية، ومن أهم التيارات السياسية التي برزت في عالم ما بعد الحرب الثانية.

### ١- الحرب الباردة[٣]:

ظهر هذا المصطلح بعد انهيار التحالف الواسع الذي كان الإتحاد السوفييتي والولايات المتحدة أحد أطرافه أثناء الحرب العالمية الثانية وذلك في إطار الصراع المشترك ضد الفاشية و النازية، وبعد انتهاء الحرب وبسبب من تباين الأنظمة سياسياً و اجتماعيًا واقتصاديًا وعقائدياً انهار هذا التحالف وبدء العالم يشهد عملية استقطاب دولي حاد بين الكتلتين الرئيسيتين، وفي مركز الصدارة لكل كتلة دولة قطب تتمتع بالسيادة المطلقة في رسم الإستراتيجية وإدارة التحالفات .وكان الإتحاد السوفييتي

(1) David Caute, **op.cit.**, P.28.
(2) **Ibid.**, P.32.
(٣) محمد محمود ربيع، اسماعيل صبري مقلد، م س ذ، ص ٦٨٣.

يقف على رأس الكتلة الشرقية وللولايات المتحدة زعامة الكتلة الغربية، وكانت كافة الدول الأخرى تصنف بمعيار انحيازها إلى هذه الكتلة أو تلك،خاصة وأن كتلة عدم الانحياز لم تكن قد تبلورت بعد.

وأدت سياسة الاستقطاب هذه إلى مزيد من التوتر الدولي والى التصلب في الدبلوماسية الدولية ظنا من كل طرف أن هيبته تتعزز وتتأكد بهذا التصلب وأن خدمة مصالحه تستلزم هذا التشدد خاصة في مواقف المساومة.

وانعكس ذلك على دور الأمم المتحدة فأصبحت هي الساحة الرئيسية لخلاف الكتلتين وتم إساءة استخدام حق النقض (الفيتو) مما أدى إلى بعض العجز في عمل هذه الهيئة الدولية،وحد من قدرتها على التحرك السريع والفعال في مواجهة الأزمات الدولية.

وبالتالي فقد أصبح المناخ السائد بين الكتلتين إبان هذه المرحلة مناخا من عدم الثقة و التربص بين كل من الفريقين وعبر عنه فانون بأسلوب لا يخلو من بعض الطرافة بقوله: "إن كل ثورة وكل تمرد في العالم الثالث يدخلان الآن في إطار الحرب الباردة، يكفي أن يضرب رجلان في سالزبوريحتي تهتز كتلة من الكتلتين بكاملها، وتأخذ تتحدث عن الرجلين وتنتهز هذه الفرصة لتثير المشكلة الخاصة برووديسيا رابطة هذه المشكلة بمشكلة أفريقيا كلهو وبمشكلة البشر المستعمرين جميعا "[1].

وتسجل هذه الفترة تعاظم دور الأيديولوجيا في تغذية الصراع بين الكتلتين مما أدى إلى الاعتقاد بأن الحرب الباردة في جوهرها ليست إلا صراعا عقائديا بحتا يعكس نفسه على كل ما يجرى على الساحة الدولية و ومما يعزز من هذا الاعتقاد أن كافة الصراعات السابقة على هذه المرحلة لم تخرج عن كونها قومية أو مصلحية، وبدورها أدت الحرب الباردة إلى ظهور ظاهرتين متلازمتين

(١) فانون، معذبو الأرض، م س ذ، ص٧٧.

## سباق التسلح

ففي إطار الحرب الباردة بدأت الكتل المتصارعة سباقا للتسلح ما انفك يزداد كل يوم ويتوسع ،فعملت كل دولة على تدعيم ترسانتها النووية والتقليدية اعتقادا من كليهما أن ما بحوزتهما من أسلحة الدمار الشامل يصب في خانة تعزيز قوتهما السياسية ونجد فانون يعبر عن ذلك المعنى بقوله: "على أن هذه الإستراتيجية التنافسية بين الدول الغربية تدخل من جهة أخرى في إطار أوسع هو إطار سياسة الكتلتين التي جعلت العالم يعيش منذ عشر سنوات في ظل الرعب النووي ، وليس من محض الصدفة أن نجد الغرب يتهم يد موسكو أو عينها كلما تحرك شعب ليطالب بحقوقه؛ لأن كل صعوبة تواجهها السيطرة الغربية في أية بقعة في العالم تعد نيلا مجسما من قوته الاقتصادية ، فكل نزاع ينشب ضد الغرب في أي بلد استعماري يعيشه الغرب باعتباره إضعافا له وتدعيما للعالم الشيوعي في آن واحد"[1].

## سياسة الأحلاف العسكرية :

في إطار المواجهة بين المعسكرين، اتبعت الولايات المتحدة سياسة الحصر والاحتواء للإتحاد السوفييتي لحصره في مناطق نفوذه القائمة ولضمان عدم امتداده إلى مناطق النفوذ الغربية، ومن أجل هذا الهدف عملت على تطويقه بجدار من الأحلاف والقواعد العسكرية،فتم إقامة حلف شمال الأطلسي(الناتو) وحلف جنوب شرق آسيا (السيتو) وحلف بغداد الذي قامت حوله معركة سياسية عنيفة بين القيادة المصرية ممثلة في الرئيس عبد الناصر ونورى السعيد في العراق وتم إفشال هذا الحلف في حينه وإن كان فيما بعد تحول إلى حلف المعاهدة المركزية.

وفي مواجهة ذلك قام الإتحاد السوفييتي من جانبه بإقامة حلف وارسو مع دول شرق أوروبا ، ليصبح أداته للمواجهة ضد حلف الأطلنطي في أوروبا.

وباتساع نطاق الأحلاف العسكرية واشتعال سباق التسلح واتباع سياسة حافة الهاوية التي تبنتها الإدارة الأمريكية على يد جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية في فترة الستينيات للقرن العشرين،وصلت سياسة الحرب الباردة إلى النقطة

(١) فانون، من أجل أفريقيا، م س ذ، ص١٢٧.

التي تهدد بتحولها إلى حرب ساخنة تهدد بقاء الكتلتين، بل تهدد البشرية كلها بالفناء عند هذه الذروة كان لابد من مخرج.

على مستوى الكتل المتصارعة فقد بدأت الدعوة إلى التعايش السلمي والتي أطلقها ونادي بها نيكيتا خروشوف رئيس الوزراء السوفييتي أمام المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي فبراير عام ١٩٥٦.

وعلى مستوى الدول المستقلة حديثا فقد تأسست كتلة الحياد الإيجابي و عدم الانحياز وأدى ذلك للتخفيف من حدة الاستقطاب الدولي القائم وإلى بروز دور كتلة ثالثة فاعلة على الساحة الدولية.

وسيتم تناول كل من سياسة التعايش السلمي وكتلة عدم الانحياز بشيء من التفصيل كتيارات سياسية لهذه المرحلة.

## ٢- سياسة التعايش السلمي[١]:

وتعتمد هذه السياسة مبدأ عدم حتمية الحرب بين النظامين الاشتراكي والرأسمالي، تلك الحتمية التي كانت توجه سياسة النظامين في فترة الحرب الباردة، والدافع وراء هذا التحول هو اقتناع الأطراف ذات الصلة بالخطورة الهائلة لاستخدام الأسلحة النووية كأداة في الصراعات والمجابهات الدولية وخطر الفناء الكامل والتدمير النهائي الشامل لكل الأطراف في حالة نشوب حرب نووية، وبالوصول إلى نقطة التوازن في الرعب النووي أصبح الطريق ممكنا إلى الاقتناع بمبدأ التعايش السلمي و الذي يرى ضرورة عدم الوصول بالتناقض بين الأنظمة المختلفة سياسيا واجتماعيًا إلى درجة المواجهة الساخنة والحرب ويرى أن اتباع أدوات التنافس السلمي في حل التناقضات وتسويتها أمرا ممكنا.

ويعود الفضل في المناداة بهذه السياسة إلى رئيس الوزراء السوفييتي نكيتا خروشوف،ولاقت هذه الدعوة الاستجابة من دول الكتلة الغربية،وانعكس ذلك على انفراجة في التوتر الدولي وبدء محادثات للحد من التسلح النووي، وأدت سياسة التعايش السلمي بدورها إلى عدد من النتائج الهامة.

(١) محمد محمود ربيع، اسماعيل صبري مقلد، م س ذ، ص ٧٧٧.

إن المواجهة بين الكتلتين أصبحت ترتكز على أدوات التنافس السلمي وبخاصة في المجالات الاقتصادية.

إن هذه السياسة فتحت مجالات للتعاون داخل المنظمة الدولية ( الأمم المتحدة) والنموذج الدال على ذلك هو الدور الإيجابي الذي قامت به المنظمة عام ١٩٥٦ إبان العدوان الثلاثي (البريطاني الفرنسي الإسرائيلي) على مصر.

- أن هذه السياسة أضعفت مبررات كل من النظامين في توسيع نطاق تحالفاته وتكتلاته العسكرية

وكنتيجة لهذه السياسة أخذت دول كثيرة تراجع نفسها حول حكمة الانضواء تحت لواء هذه التكتلات الدولية.

خاصة وأن الأحلاف العسكرية الغربية التي جرت محاولات إقامتها في الشرق الوسط واجهت إخفاقا كبيرا بفضل المواجهات الشعبية المناهضة لسياسة الأحلاف والتي قادها عبد الناصر في مواجهة حلف بغداد حتى تم إسقاطه، وكل ذلك كان من تداعيات سياسة التعايش السلمي، وأصبح المجال مهيئا بفضل هذه السياسة لظهور كتلة سياسة عدم الانحياز.

### ٣- حركة عدم الانحياز:

وقوام هذه الحركة هو مجموعة الدول الأفريقية والآسيوية التي حصلت على استقلالها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، و يعتبر مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ بمثابة أول تجمع دولي منظم لهذه الحركة وتعبيراً عن رغبة الدول المستقلة حديثا بأن تنأى بنفسها عن لانحياز إلى أي من الكتلتين القائمتين لضمان قدر من الاستقرار النسبي والخروج من حالة الاستقطاب الحاد في الوضع الدولي ومن التنافس القائم بين المعسكرين الرئيسيين في العالم (الاشتراكي والرأسمالي).

وأضحى واضحا أن الخروج من دائرة التبعية كان هدفا لقيام هذه الحركة، فقد تشكلت رؤية مؤداها أن تجنب الارتباط بالكتل الدولية وخلافات المصالح فيما بينها سوف يعزز من إمكانات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بشكل لا يتوفر في حالة الانحياز إلى أحد الجانبين وفي نفس التوجه يكتب فانون " الحقيقة أن هذا الحياد الذي

هو من ثمرات الحرب الباردة.....يتيح للبلدان المتخلفة أن تتلقى معونة اقتصادية من الطرفين "[1].

وحركة عدم الانحياز في جوهرها ليست موقفا سلبيا ولكنها تعنى حيادا إيجابيا يتخذ من المواقف ما ينسجم مع مصالح دول الحركة وشعوبها وليس لارتباطات مسبقة مع هذه الكتلة أو تلك.

وبصرف النظر عما لحق بهذه الحركة من تطورات بفعل تغير موازين القوى مرة أخرى، إلا أنه في حدود حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية و حتى منتصف السبعينيات كان للحركة دورا هاما على مسرح السياسة الدولية وتقدم لقيادتها عدد من الزعماء البارزين لحركة التحرر الوطني في طليعتهم جواهر لال نهرو والمارشال جوزيف بروز تيتو وأحمد سوكارنو وجمال عبد الناصر وجميعهم من القادة التاريخيين المشهود لهم.

ورؤية فانون لدور دول عدم الانحياز تلخصها آراؤه التالية: "أن الموقف الذي اتخذته الدول التي استقلت حديثا، وهى الدول التي صممت على أن تبقى خارج سياسة التكتلات، أدخل أبعاداً أصيلة على ميزان القوى العالمية.إن السياسة التي تحمل اسم الحياد الإيجابي وعدم التبعية وعدم الالتزام،....معناها أن الشعوب المتخلفة التي استيقظت من نومة طويلة قضتها في ظل العبودية والاضطهاد ترى من واجبها الآن أن تبقى خارج النزاعات بين الكتلتين حتى تتفرغ للنهوض الاقتصادي وللقضاء على الجوع وتعمل على ازدهار الإنسان "[2].

ويستطرد فيقول: "إن الصفر والعرب والزنوج يريدون اليوم أن يقولوا كلمتهم ويفصحوا عن مشاريعهم،ويريدون تثبيت قيمهم وتحديد علاقاتهم مع العالم الغربي ..... فليس صحيحا ما كان يزعمه الغرب من أن ظهور القيم رهن بمرورها على الغربال الغربي، وليس صحيحا أنه يتعين علينا دائما أن نسير في ركاب الغير تابعين له"[3]، وفانون يثمن هنا سياسة الحياد الإيجابي وعدم الانحياز ويراها تدعيما لاستقلال دول العالم الثالث و"خلقا لقيم إنسانية جديدة"[4].

(١) فانون، معذبو الأرض، م س ذ، ص٨٢.
(٢) فانون، من أجل أفريقيا، م س ذ، ص ١٢٨.
(٣) نفسه
(٤) المرجع السابق، ص١٢٩.

## ثالثا: التيارات السياسية الإقليمية:

شهدت الفترة الممتدة منذ أوائل القرن العشرين وحتى ما بعد منتصفه تبلور عدد من التيارات الفكرية السياسية ترجمة نفسها في أشكال تنظيمية متعددة ، تندرج في مجموعها تحت عنوان انبعاث الهوية الأفريقية وكان انبعاث هذه التيارات بمثابة رداً على معاناة الاغتراب للسود من أصل أفريقي والذين اقتلعوا من جذورهم وأبعدوا قسرا عن الوطن الأم،وكانت معاناة الاغتراب ومشاعر الحنين للعودة إلى الوطن ومعاناة سياسة القهر الاستعماري والتمييز العنصري الذي يتعرضون له ويعانونه مع محاولات طمس الهوية والتاريخ الأفريقي،من أهم أسباب نشأة هذه التيارات، والتي كانت بداياتها بين أفارقة المهجر والشتات، وأهم هذه التيارات :

### ١- حركة الجامعة الأفريقية Pan Africanism

وتهدف حركة الجامعة الأفريقية كما عبر عنها دعاتها الأوائل، الى مواجهة الهيمنة الاستعمارية وبشكل أساسي تجارة العبيد والاستعمار والعنصرية والتي بلغت ذروتها مع نهاية القرن التاسع عشر بعد مؤتمر برلين ١٨٨٤/ ١٨٨٥ لتقسيم أفريقيا بين قوى الهيمنة الغربية، ويعتبر هذا المؤتمر بنتائجه أحد الدوافع التي ساهمت في بلورة مفهوم الجامعة الأفريقية عند المفكرين الأفارقة من دعاتها ومنهم وليام إدوارد ،ديبوا ، جورج بادمور وآخرين .

وعلى هذا يمكن فهم فكرة الجامعة الأفريقية ونشأتها على أنها لمواجهة الآثار النفسية والثقافية للاستعمار والعنصرية وأنها بمثابة قاطرة للاحتجاج على عملية التكيف مع الإذلال الإنساني الذي تعرضت له الشعوب المنحدرة من أصل أفريقي، ويرى طومسون (١٩٦٩:٣٨)[1] أن حركة الجامعة الأفريقية ليست معنية فقط بالاحتجاج بل وعلى تشكيل فلسفة متماسكة من شأنها أن تمكن الأفارقة والإنسان الزنجي ليس فقط من تعزيز رفاهة المادي ولكن لرفعه من قرون الإذلال الذي أصابه منه الكثير وتمكينه من إعادة الكرامة في عالم لم يمنحه منها شيئاً حتى الآن، وتقوم حركة الجامعة الأفريقية على عدد من المرتكزات الفكرية أهمها :

١-أنها تعبير عالمي عن الافتخار باللون الأسود والجدير بالذكر أن هذا

(1) www.nathanielturnes.com

الافتخار هو القاسم المشترك بين كل التيارات الأفريقية فيتداخل مع تيار الزنوجة ومع حركة الوعي الأسود التي قادها ستيف بيكو في جنوب أفريقيا

٢-عودة الأفارقة اللذين يعيشون في الشتات ورغم عدم نجاح هذه الفكرة إلا أن أهميتها التاريخية أنها أوجدت أساسا سياسيا واضحا لفكرة الجامعة الأفريقية والقومية الأفريقية.

٣-أنها دعوة للتحرير، فلم يكن الاحتلال الوجشي للقارة مقبولا من السود المنحدرين من أصل أفريقي ولا من نخبهم المثقفة،ويعد فرانز فانون واحدا من الدعاة لهذه الرؤية حيث يصفه أكاه Achah (1999:75) على أنه " ثورى من المارتنيك، الذي أخذ الدعوة إلى التحرير شخصيا ومن القلب و لإظهار التزامه أصبح منخرطا في الكفاح من أجل إنهاء الحكم الاستعماري للفرنسيين في الجزائر "[1].

٤- التوحيد السياسي،والدعوة للتوحيد السياسي، وثيقة الصلة بفكرة التحرير للقارة وهى دعوة واضحة لوحدة أفريقيا في شكل وحدة سياسية اقتصادية وهى الدعوة التي أصبحت محل اهتمام الجامعة الأفريقية، وفي اعتقاد نكروما أن " الطريق الوحيد لحل مشاكل الإمبريالية والاستعمار الجديد في أفريقيا هو تشكيل حكومة قارية اشتراكية موحدة "[2].

وفي إطار فكرة الجامعة عقدت منذ بداية القرن عدة مؤتمرات، وكان المؤتمر الأول قد عقد في عام ١٩٠٠ بدعوة من هنرى سلفستر وليامز وهو محامى من جزر الهند الغربية، وهو أول من استخدم هذا المصطلح،وفي هذا المؤتمر بدء التعزيز المنظم لمفهوم الجامعة الأفريقية، وعقد المؤتمر الثاني في باريس ١٩١٩ و ويؤرخ البعض لحركة الجامعة بهذا المؤتمر ويعتبرونه المؤتمر الأول للحركة ،وعقد في الفترة من عام ١٩١٩ وحتى عام ١٩٤٥ أربعة مؤتمرات،كان أخرها المؤتمر المنعقد في أكتوبر ١٩٤٥ في مانشستر وحضره ما يزيد عن مائتين من المندوبين من كل أنحاء العالم وبرئاسة جورج بادمور وهو آخر المؤتمرات التي عقدت خارج أفريقيا، وهذه المؤتمرات هي التي ميزت المرحلة الأولى من فكر الجامعة الأفريقية والتي مازالت تدور في عالم الأفكار.

(1) Idem.
(2) Idem.

وبعد ذلك بثلاثة عشر عاما عقد في عام ١٩٥٨ أول مؤتمر للجامعة على أرض أفريقية في مدينة أكرا بعد حصول غانا على استقلالها وتوفر قاعدة للحركة تنطلق منها لنشر أفكارها .

ويعتبر كلٌ من وليام ديبوا وماركوس جارفي من أكثر المفكرين الذين لعبوا دورا في تشكيل حركة الجامعة في مرحلتها الأولى فكرا وممارسة، وكان لهذه المؤتمرات في مراحلها الأولى دور كبير في إيقاظ أفريقيا سياسيا وساعدتها على الاتصال بالرأي العام العالمي ومكنت ممثلي البلاد الأفريقية من أن يجتمعوا ويناقشوا الوضع في بلادهم ويبحثوا واجباتهم في مقاومة الاستعمار ، ومما يحسب لهذه الحركة أنها لفتت أنظار العالم إلى مشكلات أفريقيا فضلا عن أنها تمخضت عن مولد الزعماء الأفريقيين كوامي نكروما وجومو كينياتا وغيرهم وما يمكن أن يقال في هذا الشأن أن هذه المؤتمرات في حدها الأدنى" قد عززت من روح التضامن الأفريقي "[١].

ومن المهم الإشارة إلى تطور حركة الجامعة الأفريقية من مرحلتها الأولى والتي يقوم الانتماء فيها على أساس لونى وعنصري إلى مرحلتها الثانية والتي برز فيها الأساس القاري للانتماء الأفريقي وتناقص أهمية الرباط اللوني ومن ثم أصبحت أفريقيا مدلولا جغرافيا سياسيا

ويمكن القول إجمالا بأن حركة الجامعة الأفريقية هي حركة تنطوي تحتها كل حركة أفريقية جامعة.

## ٢- الزنوجة

نشأ تيار الزنوج أساسا بين مثقفي دول غرب أفريقيا وهى مجموعة الدول الفراكفونية،وتعتبر نشأة هذا التيار بمثابة رد على عملية الاحتواء والاستيعاب الثقافي والحضاري التي كانت تتبعها السياسة الاستعمارية الفرنسية وهذا ما يفسر نشوء هذه الحركة في دول واقعة تحت الاحتلال الفرسي،ويقف على رأس هذا التيار إيمي سيزير من جزر المارتنيك مسقط رأس فانون وهو أول من استخدم مصطلح الزنوجة، وليوبولد سنجور المفكر والسياسي السنغالى المعروف، والشيخ أنتا جوب

(١) ي سافيليف و ج فاسليف، م س ذ، ص ص ٨٥-٨٦.

المؤرخ والمفكر السنغالي الذي قدم إسهامات متميزة في إطار تأصيل فكرة الزنوجة ، وهو القائل بالأصل الزنجي للحضارة المصرية القديمة واعتبار الحضارة الفرعونية مرجعية للحضارة الأفريقية، والقائل بتواصل واستمرارية التاريخ الأفريقي ومساواة التاريخ الأفريقي بالأوروبي وبفكرة أسبقية وتفوق الحضارة الأفريقية على الحضارة الغربية.وترتكز فكرة الزنوجة على تمجيد التاريخ والثقافة الأفريقية.

والنقد الحاسم الذي وجه إلى هذا التيار جاء من سارتر حين وصف الزنوجة بأنها عنصرية مضادة للعنصرية،ولفانون وجهة نظر حول مسألة تمجيد التاريخ وحول الفكرة العنصرية ويلتقي في هذا مع سارتر فوعى فانون ليس أسود محض (عنصري) ولكنه يمتد إلى الشعوب المستعمرة من أي عرق كانت.

## ٣- الوعي الأسود

وتيار الوعي الأسود هو أحد التيارات التي كانت تقوم بالدور الكفاحي في مواجهة ومكافحة الاستعمار والعنصرية ومشكلة التمييز العنصري في جنوب أفريقيا.

ومصطلح الوعي الأسود نبع بداية من الولايات المتحدة على يد وليام ديبوا الذي رأى أن السود يجب أن يفخروا بسوادهم كخطوة مهمة في اتجاه تحررهم الذاتي،وهدف المفكرين السود من هذه الحركة هو استعادة الوعي الأسود والوعي الأفريقي الذي يشعرون انه قد قمع بواسطة الاستعمار،وهذا المصطلح وإن نبع بداية على يد ديبوا في الولايات المتحدة إلا أن حركة الوعى الأسود تبلورت في أخريات عام ١٩٦٠ في جنوب أفريقيا بقيادة ستيف بيكو الذي كان يرى أن تحرير السود لن يتأتى بالنضال من أجل إحداث تغييرات سياسية هيكلية ولكن من التحول النفسي في فكر وعقل الشعب الأسود نفسه وانه لا إمكانية للتحرر السياسي بدون تحرير العقول والأفكار نفسيا وعقليا وسلوكيا وأن النضال من أجل استعادة الوعي الأفريقي يمر عبر مرحلتين من التحرر النفسي والتحرر العضوي المادي. وحركة الوعي الأسود تنفي عن نفسها فكرة العنصرية ، ولكنها حركة مضادة للعنصرية البيضاء، وأن الصراع بينهما هو الذي يقود إلى إنسانية حقيقية، وتضع لذلك شرطا

وهو أن يتحرر السود أنفسهم أولا وأن يحصلوا على التحرر النفسي والمادي وعلى السلطة السياسية؛ لأنفسهم.

وتقوم حركة الوعي الأسود على المقومات التالية:

- التحرر النفسي من الشعور بالدونية والقابلية للخضوع .
- رفض كل ما هو أبيض.
- الفخر بكل ما هو أسود والاعتزاز والاعتماد على الذات .
- التضامن الجمعي على أساس اللون الأسود وليس على أي أساس آخر

ويمكن القول بأن الوعي الأسود هو أيديولوجية راديكالية وهي تصور فكري تجاه واقع معين من أجل تغييره.

وهكذا نجد أن مجمل هذه التيارات الفكرية والسياسية والمنظمات المنبثقة عنها تشكل في مجموعها ملامح السياق الحضاري المعاصر لتلك المرحلة،هو ذاته السياق الذي عاش فانون في ظله وشكل أفكاره النظرية وحكم خطواته العملية.